إشكالية المرجعية الدينية في الفكر السلفي" .

دراسة ميدانية مقارنة بين الفكر السلفي التكفيري والفكر السلفي العلمي .

بن عطية حاج ميلود

أستاذ مساعد " ا". جامعة معسكر

مقدمة:

تعتبر الظاهرة السلفية من المواضيع التي استقطبت العام والخاص في الآونة الأخيرة، وغذت تولي اهتمام الباحثين ليس في المجال الديني فحسب وإنما في جميع المجالات وخاصة في العلوم الاجتماعية والعلوم الدينية.

سنتطرق في هذا المقال إلى إشكالية المفهوم " السلفية " عند السلفية التكفيرية والسلفية العلمية، وسنتطرق أيضا إلى إشكالية المرتكزات التي تعتمد عليها السلفية بنوعيها (التكفيرية والعلمية) .

اعتمدنا في بحثنا الميداني على تقنية الملاحظة بالمشاركة كتقنية أساسية في هذا البحث ثم كانت المقابلة كتقنية مكملة فيما بعد، اعتمدنا على تقنية " الملاحظة بالمشاركة " في بداية الأمر وأخفينا هويتنا كباحثين ، وحتى نندمج في المجتمع البحث أقناعنا عينة البحث على أننا نريد أن نعرف " المنهج الصحيح لمعرفة الله وعبادته عن علم وليس عن جهل وبالتالي وهذا يستوجب عليا طرح أسئلة حول المفهوم والمرتكزات ... ، حتى أصبح المسلم الذي ينجوا من عذاب الله باعتبار أنكم أنتم الفرقة الناجية " وانتهجت هذه الطريقة حتى أكون مقبولا في مجتمع البحث، "فالملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون تعني أن يكون الملاحظ مشاركا، أي يجب عليه أن يكون مقبولا حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ، ولكن يبقى حاضرا كفرد ما، وأكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لا تتطلب الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدروسة ، وإنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتها اليومية[1]

هذه الهوية التي أقنعت بها مجتمع البحث " على أنني أريد عبادة الله على المنهج الصحيح " جعلتني استفسر عن كل شيء فيما يتعلق " المفهوم " والمرتكزات " الذي هو موضوع المقال ، ثانيا جعلتني أن أجمع المعلومات التي كنت أود الحصول عليها بدون صعوبة تذكر، بل هم من كانوا يرشدونني إلى المراجع والكتب التي هم مقتنعون بها .

ومما ساعدني أيضا هو تمركز مجتمع البحث إلى مساجد مختلفة ، فالسلفية التكفيرية ترتكز في حي ليسكور وهو حي شعبي في مسجد ابن تيمية ، والسلفية العلمية ترتكز بحي مسجد أسامة بن زيد ، وهو حي شعبي أيضا بوهران.

وقضيت ثلاثة أشهر في كلا المسجدين أي الفترة الزمنية كانت 6 أشهر، دامت فترة الزمنية للبحث، فالباحث" قد يكون ملاحظا مشاركا أو أن يكون مشاركا ملاحظا، ولكن معظم الأبحاث، ولكن معظم الأبحاث الأنثربولوجية تعتمد على الدور الأول فمثلا : قامت Gene Shelley 1992) بدراسة الأفراد الذين يعانون من أمراض القصور الكلوي،فقضت مئات الساعات في مركز طبي لتصفية الدم من المواد السامة، تلاحظ وتسمع وتسأل وتتحدث حول كل جوانب حياة المبحوثين، فلم تقدم نفسها على أنها ممرضة، ولا تعرض نفسها لمثل هذه الفحوص **فقامت بدور الملاحظ المشارك**[2]،كما ترى مادلين قراويز (Madleine Grawitz)أن"الملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون الملاحظ مشاركا،أي يجب عليه أن يكون مقبولا حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ ولكن يبقى حاضرا كفرد ما .

وأكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لا تتطلب الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدروسة، وإنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتها اليومية [3]

عينة البحث:

عينة البحث كانت مقصودة،حيث اخترنا العينة التي تؤمن بأفكارها وليس مجرد تتبع منهج بدون أن تعلم عنه شيئا، وقد أفادتنا المرحلة الاستطلاعية ن حيث تعرفنا على الأعضاء الذين يؤمنون بأفكارهم سواء ذات توجه السلفية العملية، أو ذات التوجه السلفية التكفيرية، حيث تم اخترنا 10 أفراد من السلفية التكفيرية ، و10 أعضاء من السلفية العلمية .

ولكن الملاحظة التي أود ذكرها، أنني لم أتطرق إلى ذكر أجوبة المبحوثين كلهم في آن واحد نظرا للتطابق إجابتهم في المعنى، فعلى سبيل المثال : يرى المبحوث رقم (**08**) : "***أن السلف هم رجال عرفوا الله فقدروه حق قدره وعرفوا الدنيا فعافوها، وتوجهوا إلى الله الواحد الصمد، السلفية هم من يدقون بابه لنيل رضاه ، تاركين اللعب واللهو يلهثون وراء الدنيا الفانية***، وفي نفس السياق يقول المبحوث ***رقم (02):"" أن السلفية هم من يقول فيهم الله في كتابه العزيز رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " ، فالسلفية هي باختصار قال الله قال الرسول "***

ويقول المبحوث رقم (***01***):" ***السلفية هي تحارب الحزبية، وهي المنهج الحق " ، ويقول المبحوث رقم (06): "السلفية هي ما وصى به سيدي الحبيب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ابنته فاطمة حينما قال لها نعم السلف أنا لك أي ابتياع منهاج النبي "*** ، *ويقول المبحوث رقم (* ***06****): " أن السلفية هي ما كان عليه النبي في المأكل والمشرب والمنشط والمكره، والغضب والفرح "* وفي *نفس السياق يقول المبحوث رقم (* ***09****): " السلفية هي جماعة اهل الحق وتنبذ البدعة، هي تنتسب إلى المنهج الحق "* ويقول *البمحوث رقم(****10****) : " أن السلفية "هي لا تجيز الخروج عن الحاكم ولا تدعو إلى ثورة وهي تصلح ما أفسده "*

" وبالتالي نظرا للتشابه أجوبة المبحوثين حول السؤال: ما معنى السلفية؟ " فاخترت الأجوبة التي تتصف بالعمق وقوة الطرح، حيث أن المبحوث رقم (***04****) والمبحوث رقم (****05****) والمبحوث رقم (****07****) والمبحوث رقم (****03****)، إجابتهم كانت ملمة بالموضوع وفيها مادة معلوماتية مهمة لي للتحليل.*

وهذا الأمر ينطبق على جميع الأسئلة المطروحة .

سنتطرق في هذا المقال إشكالية المرجعية في الفكر السلفي،حيث هناك إشكالات تؤرق هذا الفكر فالسلفية العلمية ترى منهج الإخوان المسلمين منهاج باطل ، اما السلفية التكفيرية ترى منهج الإخوان منهج سني بل وتعتبره مرجعية لها. ثم السلفية العملية ترى السلفية التكفيرية هم ليسوا سلفيين هم خوارج، أم السلفية التكفيرية ترى السلفية العلمية هم مرجئة، ثم كل واحدة تدعي الأحقية في استنباط " السلفية " .

أ– منهج الإخوان المسلمون بين القبول والرفض في الفكر السلفي :

1–1 الإخوان المسلمون في ميزان السلفية العلمية: ترى السلفية العلمية ، بأنهم(السلفية التكفيرية) جروا على الأمة الإسلامية الويلات يقول المبحوث **رقم(07):" السيد قطب، وحسن البنا يعتبران من بين أقطاب الفكر الإخوان جروا البلاءات على الأمة " .**

تعتبر السلفية العلمية أن سيد قطب وحسن البنا ومنهج الإخوان لا يمت للمنهج الحق(السلفية العلمية)بصلة – يقصدون بالمنهج الحق – منهجهم – ، وفي هذا الصدد يقول المبحوث رقم (**03**): "**إن أفكار" إخوان المسلمون أفكار مجرد خزعبلات وتتميز بإثارة مشاعر وعواطف العوام وليس لها صلة بدعوة الحق، فأسلوب سيد قطب أسلوب استفزازي، يجلب القارئ بما يهيج مشاعره الدينية فقط وخاصة إذا كان من الشباب الذين يندفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ويقبلون ما يوحى إليهم من أهداف ، ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله والأخذ به سبيل الجنة " .**

ويحكم مبحوث أخر على السيد قطب وحسن البنا بأنهم دعاة إلى الله وليسوا علماء، واشتملت دعوتهم على الكثير من الأخطاء يقول المبحوث رقم:»(**06**):" **يجب أن ندرك أولا : أن مجال الدعوة إلى الله ليس مقتصرا على العلماء فقط فكل من له العلم الشرعي ما ، يمكنه من تبليغ هذا (الشرع) الدين ، فعليه بالدعوة حسب رصيده العلمي ، فمن هذا الأصل نقول أن سيد قطب وحسن البنا رحمهم الله داعيان إلى الله تعالى ، كما أنهما قدما للمسلمين أشياء كثيرة تنفعهم وأشعر ا المسلمين بوجوب العودة إلى الله وإلى الإسلام،لكن هذا شيء، والقول بأنهما عالمان شيء أخر ، فالرجلان ليس عالمان،وليست لهما العصمة،وبالتالي لهم أخطاء غير مقصودة في مجال الدعوة، فنحن نرحم عليهما لأنهما مسلمان ".**

وفي هذا الصدد أيضا يقول المبحوث رقم(**01**): "**اعلم وفقك الله لطاعته، أن سيد قطب الأديب هو رجل أديب وشاعر ومفكر وليس هذا رجل ممن يأخذ عنهم في علم الشريعة كالتفسير، القرآن، والسنة الصحيحة وغيرها من علوم الكتاب والسنة (هذا أولا).**

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز ابن الباز عن سيد قطب :

فقال " مسكين ضايع في تفسير " مجموع فتاوى ابن باز (جمع محمد بن سعد الشويحر) . فهو بمنزلة الجرح كما هو مقرر في أصول علم الرجال في الجرح والتعديل، وهو يكفر المجتمعات بالجملة وهذه كتبه موجودة ومطبوعة وبينة على مدعي ، قال السيد قطب رحمه الله في تفسيره " ضلال " " إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي" جزء الرابع صفحة ، ص21-22.

وهكذا في غير موضع من كتاباته، وقد شهد على فكره التكفيري " أحد منظري الإخوان المسلمون في العالم: الشيخ يوسف القرضاوي " في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره والتي تنضح بتكفير المجتمع... ويتجلى ذلك وأوضح ما يكون في تفسير"ضلال القرآن" في طبعته الثانية وفي معالم في الطريق"ومعظمة مقتبس من الضلال وفي الإسلام ومشكلات الحضارة" كتاب أولويات الحركة الإسلامية – صفحة 110. قال تعالى " وشهد شاهد من أهلها " ، وهناك ردود الشيخ المحدث أحمد شاكر على فكر سيد قطب مطبوع ضمن مجموع مقالات الشيخ أحمد شاكر ذلك في الخمسينيات القرن الماضي، فكتبه تدعو إلى تكفير والخروج على الحكام فضلا عن طعن وجحود في الأحاديث والصفات الباري جلى وعلى. نسأل الله السلامة والعافية .

وعلى هذا فالسلفيين يحذرون من كتبه وما فيها ما يضاد عقيدة أهل السنة والجماعة وهم لا يكفرون السيد رحمه الله،وهذه كتبهم موجودة مطبوعة ما فيها تكفير الشيخ، وإنما تحذير وهجرها فتأمل وفقك لله.

أما السيد حسن البنا مؤسس حزب الإخوان فهو رجل سياسي مئة بالمائة وليس ممن يعرف عليه علم أو سمات أهل العلم ، وهو صاحب مقولة " فلنعمل فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " أخذ من مجموع رسائل حسن البنا، وكان يقصد علماء زمانه أهل الحديث : كالشيخ أحمد شاكر ومحمد أل الشيخ والألباني .

قال الشيخ عبد العزيز ابن الباز رحمه الله: " أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى عليها فالواجب عدم الإنكار فيها... أما من النص من كتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص".

قال الشيخ بكر بوزيد رحمه الله: هذا تقعيد حادث فاسد إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام فإنه لا لإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد" "مأخوذ من كتاب حكم الانتماء ". ومما يطرد دعواه أيضا ما قاله في الاجتماع الذي حضره مع لجنة مشتركة أمريكية – بريطانية: قال: والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي ولهذا فأني أحب أن أوضحها باختصار " فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حضي على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن تكون شريعة قومية ، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقا " و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " .

قال الشيخ عبد العزيز ابن الباز عندما عرضت عليه هذه المقالة :" هذه مقالة باطلة خبيثة،اليهود من– أعدى الناس للمؤمنين هم ، هم من أشر الناس ، بل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين من الكفار. كما قال تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود والذين أشركوا " فاليهود والوثنيون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين وهذه مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة ، على قائلها أن يتوب إلى الله ويرجع إليه سبحانه وتعالى ويندم على هذه المقالة السيئة " . راجع كتاب " دعوة الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام" وكتاب " نقد قاعدة نعمل فيما اتفقنا عليه ، وليعذر بعضنا بعضا فيما اتفقنا فيه " الشيخ حمد بن إبراهيم العثمان وفقه الله ، فهو كتاب قيم وننصح بقرأته لما عليه تقريط مجموعة من علماء أهل السنة والجماعة منهم الشيخ المحدث المدينة المنورة " عبد المحسن العباد البدر .

فال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين—رحمة الله— قرأت تفسيره—يعني: ضلال القرآن لسيد قطب لسورة الإخلاص،وقد قال قولا عظيما فيها مخالفا لما عليه أهل السنة والجماعة حيث إن تفسيره لها يدل على أنه يقول بوحدة الوجود.

وقال المحدث الألباني- رحمه الله-:" نقل سيد قطب كلام الصوفية ولا يمكن أن يفهم منه إلا أنه يقول وحدة الوجود "، وكتب- رحمه الله- بخط يده على فاتحة كتابّ العواصم مما كتب في سيد قطب من القوا صم"للشيخ ربيع بن هادي ألمدخلي- حفظه الله،هده العبارة"كل ما رددته على سيد قطب حق صواب، ومنه يتبين لكل قارىء مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه، فجزاك الله خير أيها الأخ (الربيع)على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام [4]

ونشر في المجلة السلفية العدد السابع عام 1422هـ، ص 64 يقول محمد قطب– "إن الأمر يحتاج إلى الدعوة الناس من جديد إلى الإسلام، لا لأنهم في هده المرة ، يرفضون أن ينطلقوا بأفواههم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما كان الناس يرفضون نطقها في الغربة الأولى،ولكن لأنهم– في هده المرة – يرفضون المقتضى الرئيسي :ل لا إله إلاالله"وهو:تحكيم شريعة الله" انتهى.نقلا من كتاب واقعنا المعاصر .

أقول: هدا تكفير للجماهير بالجملة، وإلا كيف يحكم بأنهم رفضوا حكم الله، وكيف يشببهم بالجاهلية قبل- الإسلام ؟ دون تفصيل أو استثناء للدين يحكمون شريعة الله وليس لهم دستور إلا كتاب الله. [5]

أما حسن البنا حين قام بالدعوة في مصر تابعة على دعوته عشرات الألوف بل مئات الألوف لكنا لم نسمع أنه شرط على أحد ممن دخلوا في حزبه أن يتخلى عن عقيدته السابقة سواء كانت شركية خرافية أو جهمية تعطيلية أو معتزلية تنقي القدر وتقول بخلق القرآن وتجحد رؤية الله في الآخرة أو غير دلك لم نسمع ولم نقرأ في كتبه أنه قال لأحد منهم لا تدخل في دعوتنا حتى تتخلى عن عقيدتك السابقة. [6]

وترى السلفية العلمية نفسها صاحبة الحق وهي الفرقة الناجية، وترى نفسها أصابت ومنهج الإخوان أخطأ في أمور وهي:

1–" العناية بالتوحيد: وجعله أساسا للدعوة عند السلفيين على طريقة الرسل–صلوات الله وسلامه أجمعين–، أما الحزبيون فإنهم لا يعتنون به، ولا يرفعون به رأسا، ولا يجعلونه أساسا لدعوتهم، ولا منطلقا لها.

2– إنكار الشرك:كبيره،صغيره ، والتحذير منه،والإخبار بنكره،وأنه من الموبقات الكبار وأن كبيره مخرج من الملة موجب للخلود في النار،أما الحزبيون فهم بخلاف ذلك،فهم يتغاضون عن الشرك الأكبر،ويسكتون عنه بل فعله كبارهم ، ولم يروه منكرا.

3– مصدر التلقي عند السلفيين هو الله ورسوله: ممثلا في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهم يقدمون ما جاء عن الله، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد وتوجيهه. أما الحزبيون: فهم يقدمون قول أئمتهم على الوحيين تحسينا للظن بهم ، وغلوا فيهم ، ولابد أن أؤكد ذلك بمثال : فمثلا قول حسن البنا:"نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه" هذه القاعدة تعارضت مع كتاب الله ومع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يقول:*" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" والنبي صلى الله عليه وسلم قال:" كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخدن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا " رواه أبو دواد ، وغيره ومن تأمل في الحزبيين وما هم عليه يرى أنهم يتعبدون بالبدع ، ويتركون السنن مهما نبهوا إليها ، فالمقدم عندهم قول مؤسس الحزب ، ومنظريه ، وإن خالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدعوة الرسل جميعا إلى التوحيد ، وهم يدعون إلى خلافة الرسل ، والحزبيون يدعون إلى خلافة . [7]

4– الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من الخروج على الولاة، ومنازعتهم وهم يبيحون ذلك، وإن تستروا، أما الكلام في الولاة، والتشهير بهم على المنابر فحدث ولا حرج..

5– السلفيون يحرمون الغناء، وهم يبيحون ممثلا في الأناشيد الصوفية التي يسمونها الأناشيد الإسلامية ظلما وعدونا، والمهم: أن الفوارق بين السلفيين ، والحزبيين كثيرة في الولاء والبراء ، وغيره ، وبالله التوفيق " [8]

وقد ترجم الشيخ المغراوي رئيس جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة في المغرب التعاليم القاضية بالتصلب في وجه المخالفين في وصفه لسيد قطب ولجماعة الإخوان المسلمين قائلا : قطب هو أحد المنحرفين الذي خرجتهم مدرسة الإخوان ما بين داعية على تكفير المسلمين ، وما بين داعية التقريب بين الكفر والإسلام، وما بين داعية إلى التقريب بين الروافض والسنة ، وكلهم أجمعوا على محاربة المنهج السلفي المبارك، وأما سيد قطب فقد جمع أعظم السيئات وقوع في الأنبياء والرسل ، ووقوع في صحابة رسول الله ..ووقوع في الحلول.[9]

أما بالنسبة لعقيدته في الصفات فقد وقع في التأويل، ويضيف : " فانظر رحمك الله على هذا القلم النتن، كيف يصف صحابيين جليلين بالركون على الكذب والغش والخديعة والنفاق (يقصد معاوية وأبو عبيدة الجراح في موقعة الصلح مع علي).. بالله عليك أيها القارئ

كيف تفلح دعوة تقف مثل هذه المواقف المخزية تجاه الدعوة المحمدية.. زيادة على أنها غارقة في أوحال الحزبية والبدع المقيتة، وكل ما لهذا الرجل من الطامات والبلايا العقدية .

فمن مبادئ السلفية (العلمية) أنه " لا يجب ذكر محاسن أحد من أهل المبادئ الهدامة والمشبوهة من مضللين وبدعيين وخرافيين وحزبيين، لأننا إذا ذكرناها فإن هذا يغرر بالناس، فيحسنون الظن بهم فيقبلون على مبادئهم ويكون ثناؤه أشد من ضلاله.[1]، فالسلفية العلمية تهتم بكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

1-2-الإخوان المسلمون في ميزان السلفية التكفيرية:

أسس السلفية التكفيرية مبينة على منهج" الإخوان المسلمون "وبالأخص السيد قطب ، وهي تعتمد على أفكاره في الشأن السياسي مثل : الحاكمية ، الحكم على جاهلية المجتمع من خلال سلوكياتهم وتصرفاتهم .

يقول المبحوث رقم(**03**)وهو يصف أوضاع البلد أخلاقيا، تربويا: **"اليوم راهم (إنهم)"عاريات عاريات، مشي كاسيات عاريات، الفتنة راهي بزاف ، شوف الكفار غلاوا المعيشة، تبغي تتزوج تلقى مشاكل ، كل شي غالي ، الحليب ، الماكلة غالية، بصح لو كان تبغي تزني باطل ،بميل سانك تزني ، كثرة العنوسة ومشي غير العنوسة Même كثروا العاهرات راهي صاري فتنة كبيرة ، شوف الشراب راه يدير دوميل deux mille يعني اللي غير لي ما بغاش يشرب ، ليق نخدموا بكل مأوتيت من قوة في سبيل إعلاء كلمة الدين "** . يشبه هذا المبحوث المجتمع بأنه تفشت فيه كل المظاهر الجاهلية:التبرج ووصفه بالعاريات،كثرة الزنى، والعاهرات كثرة شرب الخمر ، وهذه الأفكار"قطبية"بالدرجة الأولى،فالسيد قطب في كتابه المعالم يقول"إن العالم اليوم يعيش في جاهلية كالتي عاصرها الإسلام أو أظلم،كل ما حولنا جاهلية،تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم موارد ثقافتهم، فنونهم آدابهم ، شرائعهم،وقوانينهم ، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وتفكيرا إسلاميا .هو كذلك من صنع الجاهلية، وتدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة.. "[10]

ويقول المبحوث **رقم(01)** وهو يصف السيد قطب **" السيد هو اجتهد ولكن أخطأ خاصة في مسائل العقيدة وإنما في التفسير يعتمد على ابن كثير ، ونحن لا نقول فيه إلا كما قال فيه الألباني : هذا في الأصل أديب وعادة الأدباء يتناولون الدين بطريقة تجعلهم يقعون في الأخطاء ، ولكن هذا لا يعني أنه السيد قطب هو سبب الصحوة الإسلامية "**

وبالتالي تعترف السلفية التكفيرية، بأن مسائل العقيدة أخطأ فيها السيد قطب، بل وتستشهد بالشيخ الألباني الذي يعتبر من شيوخ الكبار في" السلفية العلمية "، ولكن تعتبره أن تفسيره مستمد من تفسير ابن كثير، وبالتالي تتطابق أفكار سيد قطب مع فكر السلفية التكفيرية بل وتراه سببا في الصحوة الإسلامية .

فالسلفية ذات الاتجاه التكفيري تهتم بتوحيد الكلمة قبل كلمة التوحيد، وتعتبر أقطاب الإخوان المسلمون من من مرجعيتهم الأساسية كعبد الله عزام ، وفي هذا السياق يقول المبحوث **رقم (01): " شفت الكتاب نتاع عبد الله عزام " مجاهد كبير " هذاك أصله من فلسطين ، راح عند الجيش القسام قالهم علاه راكم تجاهدوا قالوا له غير هاك، قالهم صح ، راح إلى سوريا، ومن بعد راح لأردن حكموا عليه بالحبس ، ومن بعد مين خرج راح إلى أفغانستان بقي يحارب حتى اللي مات هناك ".**

هذا المبحوث يكشف عن تأثير المرجعية-السلفية التكفيرية-بالفكر الإخوان صراحة ، حيث يعتبر عبد الله عزام من بين أقطاب فكر الإخوان المسلمون ، وهم متأثرين بكتاب السرطان الأحمر، وهو عبارة عن كتاب يرى فيه المؤلف خطر الإتحاد السوفيتي ووجوب المسلمين التصدي له في أفغانستان ، وفيه يرى بان العالم الإسلامي يمر بمؤمراة خبيثة من الغرب وإسرائيل .

يظهر تباين واضح بين السلفية العلمية والسلفية التكفيرية، فالسلفية العلمية ترى الإخوان المسلمون والسيد قطب منهج ضال وعقيدة فاسدة تحذر الشباب الإسلامي من التأثر بمبادئه ، أما السلفية التكفيرية ترى الأخوان المسلمون والسيد قطب سبب في بروز الصحوة الإسلامية بعد عصور طويلة من الانحطاط .

ب- أ- رواء السلفيات " العلمية، التكفيرية " إلى منهج بعضهما البعض:

1-1 السلفية التكفيرية في ميزان السلفية العلمية هم "خوارج":

ترى السلفية العلمية ليس هناك ما يسمى بالسلفية التكفيرية بل هؤلاء هم خوارج ونسبوا إلى السلفية بهتانا وزوا، في هذا السياق يقول المبحوث رقم (**07**):" **في الحقيقة أن هذه المصطلحات ليست من لا يعرف حقيقة هذا المنهج بل من لا صلة له بالسنة أصلا، يتلفظون الألفاظ ويخلطون الأوراق ويضربون الحق بالباطل في ظنهم أن كل من أرخى لحيته وقصر ثيابه ورفع شعار ابتغى فيه بالتدين فهو سلفي ، والحق الذي لا مرية فيه أن السلفية لا تدعو إلى ثورة و لا تكفر أحدا من المسلمين،و لا تستجيز الخروج على الحاكم،بل السلفية تدعو الناس إلى الحق وبالتالي هي أحسن،تصلح ما أفسده الناس،تعالج قضايا المجتمع بالشرع الحنيف تأخذ بيد الضائع التائه إلى بر الآمان،أما الفئة الأولى،والتي سموها بهتانا وزوروا بالسلفية ووصفوها بالثورية ، فلا تمت بالسلفية بأدنى صلة بل هم إلى الخوارج أقرب نسبة وإلى لتكفير نصيبهم الأوفى يحرضون الناس على حكامهم يكفرون كل من له صلة بالحاكم ويبيحون دمائهم،يؤججون نار الفتنة بين المسلمين يفسدون ولا يصلحون**"

يقول الشيخ محمد بن العثميين –رحمه الله تعالى"الله،الله في فهم المنهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطأ السلطان سبيلا لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد- وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس ، كما أن مليء القلوب على ولاة الشر والفتنة والفوضى، وكذا مليء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء ، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها ، فإذا حاول يقلل من هيبة العلماء ، وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمر لأن الناس إن تكلم العلماء لم يتقوا بكلامهم وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم وحصل الشر والفساد [11]

ودائما في هذا السياق، يقول المبحوث رقم (**08**): " **المنهج السلفي واحد لا يتجزأ ، كما أن الحق واحد ماذا يقصد بثورية ، هل حمل السلاح والخروج لقلب الأنظمة ؟ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من حمل علينا السلاح"،"لا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا إلا إذا وجدوا منهم كفر بواح عند الخارجين من الله فيه برهان"**. إذن السلفية العلمية . ترى أن من يكفر الحاكم ويدعو إلى الثورة ضده، ويخرج عن أنظمته فهو خارجي تكفيري وليس سلفي، فالسلفية منهجها يقوم على عدم حمل السلاح بين المسلمين،وعدم شق العصا عن الحاكم،ولا يكون إلا بقاعدة"ظهور كفر بواح" مثل : رمي القرآن الشريف في المرحاض، أو إعلان كلمة الكفر صراحة ، ويرى الألباني–رحمه الله – في ذم السلفية التكفيرية"فهي دعوة سياسية خارجية تسير على نفس خطى حسن البنا والمودودي وسيد قطب،وتدعو إلى نفس أصولهم من الثورة على الحكام والمظاهرات والانقلابات،وإن كانت لهذه الأصول الخارجية قد اختلفت قليلا حاولت أن تلبسها لباس السلفية وتبثها عن طريق دعاة كانوا من قبل معروفين عند الناس بأنهم من السلفيين فلذلك كان خطر هذه الفرقة بالغا لخفاء أصحابها [12]

والعلماء هم أهل لأن يروا الكفر البواح لو وجد، لأن العالم هو الذي يميز الحق من الباطل ، لذلك أنكر الله التسوية بين العالم وغير العالم فقال:" هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أو لوا الألباب"[13]

في هذا السياق يقول المبحوث رقم(**01**):".. **ليس هذا بصحيح: السلفية واحدة وهم أهل الحديث والأثر وهم المصلحون والمحققون للعلم، أصحاب الجرح والتعديل،و هذا العلم الذي هو"الجرح والتعديل"من خصائص هذه الأمة الإسلامية،بل من خصائص هذه الدعوة المباركة السلفية الإصلاحية، أما السلفية ثورية: فليس هناك سلفية ثورية بل نسميهم كما سماهم النبي صلى الله عليه وسلم والسلف رضي الله عنهم أجمعين باسم"الخوارج والبغاة"، هذا هو الصواب في تسميتهم أي ثوريين بالخوارج والبغاة ، واعلم رحمك الله . أن كلمة سلفية ثورية هي من أعداء الإسلام كالمستشرقين وكتاب علمانيين وغيرهم من الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام ودعاة السلفية النقية الإصلاحية، وعليه نسمي الأسماء بمعانيها ومصطلحاتها الشرعية، وهذا أمر مهم لابد أن ننتبه إليه وفقك الله للخير.، قال الشيخ العلامة أصولي الفقيه: مشهور بن حسن آل سلمان قال وفقه الله "كتاب"معركة الاصطلاحات"** .

" والعجب لا ينتهي في هذا الزمان، ولكن نحن نعيش في زمان اختلطت فيه المفاهيم، وأصبحت فيه معركة في الاصطلاحات ،وغر الناس الألفاظ والأسماء وكاد الناس – إلا من رحم ربي أن ينسوا الحقائق فإنما العبرة بالحقائق لا بالمسميات كأنك تقول هذه الورقة بيضاء سوداء ، فالبياض مع السواد لا يمكن أن يجتمعا أبدا ، فلما تقول سلفية تكفيرية فهذا وصفان لا يجتمعان أبدا ،

لأن السلفية لا يحكمون أهوائهم ولا يحكمون قول أحدا في التكفير..."كتاب سلفية النقية وبراءتها من الأعمال الردية،ص28طبعة دار الفرقان الجزائر العاصمة

وقال وفقه الله صفحة 40 مرجع سابق.هل يجوز أن نطعن في الإسلام بسبب هذه الفعال ؟ الجواب: لا لماذا ؟ لأن من أراد أن يتكلم في الإسلام فينبغي أن يحاكم الإسلام بمبادئه ونصوصه ولا ينظر لأفعال أبنائه.... وهذه فرية بلا مرية، توطات عليها وسائل الإعلام منذ زمان بقولهم:سلفية جهادية، سلفية تكفيرية" .

إذن السلفية التكفيرية هي في الأصل خوارج وبغاة وهذا الاسم سماهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم على حسب السلفية العلمية،أو هو من إنتاج المخابر العلمية التابعة للمستشرقين والعلمانيين وغيرهم من الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام، والدعوة السلفية الصحيحة هي دعوة إصلاحية.

ثم يستدل بآيات بعالم من علماء المشهورين مثل:حسن آل سلمان،إذا يرى أن السلفية التكفيرية مصطلح غريب إذا لا تلتقي المفاهيم مع بعضها البعض ، فالتكفير والسلفية هم مصطلحان متنافران ، لأن منهج السلفية الحقة ويقصد بها بالعلمية بعيدة كل البعد عن التكفير والأهواء،ويرى أن من يقول أن هناك سلفية تكفيرية هو يطعن في دين الله،فالسلفية العلمية بريئة من كل المسميات الجهادية والتكفيرية،ويرى أن وسائل الإعلام متوطأة في نشر هذه المفاهيم المشوهة للسلفية الحقة " السلفية العملية" .

2-2: السلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم " مرجئة ":

ترى السلفية التكفيرية أن السلفية العلمية بعيدة تماما عن المنهج السلف الصحيح،فالسلفية العلمية هم في حقيقة الأمر"مرجئة " وهي تندرج ضمن المؤامرات الغربية التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين،وهي عبارة عن خدعة هدفها ضرب الصحوة الإسلامية ،وفي هذا السياق يقول المبحوث رقم (**01**):" **هذه الفكرة" يقصد بها السلفية العملية) متى جاءت؟ جاءت لما رأوا الناس تتدفق على بيوت الله ، لم تصدهم الملاهي وبيوت الزينة عن المساجد ، ولا تصدهم المخامر وبيوت الدعارة عن بيوت الله ، صحوة كبيرة ، عامة ، شاملة ، التجأ إليها الناس ، إذا كان ولابد من صد هؤلاء الشباب عن بيوت الله ، أما يقولوا لهم علاه راكم تعيوا في نفوسكم تدخل المسجد ، وتشقى في سبيل الله وتفعل و تفعل،وتعمل للدين لماذا؟أنت في الجنة حتى ما تصلي،ما تصوم،هذه الفكرة الأصلية هذه الطائفة منهم:والقصد منه تعطيل الجهاد،تعطيل شريعة العالمين" .**

فالسلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم مرجئة، يرى هذا المبحوث أن السنوات الثمانينات عرف فيها العالم الإسلامي صحوة الإسلامية على يد الإخوان المسلمون ، اعتنقها الشباب وملئت المساجد بعدما كانت خاوية على عروشها ، وتدفق الآلاف من الشباب على الذكر والإقبال على الله ، وتركت الحانات وبيوت الدعارة، ونظرا لهذا الإقبال المتزايد إلى طريق الحق في نظر هذا المبحوث ، فكر الغرب وأعداء الدين لخلق نموذج من التدين تمثلت إستراتيجيته في ضرب الصحوة الإسلامية عن طريق إحياء فكر الإرجاء القائم على فكرة أن أركان الإيمان : قول .اعتقاد . عمل ولكن العمل هو شرط كمال أي عدمه لا يقتضي العدم – وهذا يعتبر من مسائل الإيمان سنتطرق إليها لاحقا، إذن السلفية العلمية في نظر السلفية التكفيرية هي مشروع هدفه الأساسي ضرب الإسلام ومخطط غربي الغرض منه ضرب الصحوة الإسلامية التي شهدها العالم الإسلامي في سنوات الثمانينات .

وفي نفس السياق يقول المبحوث رقم (01):" **هذا الفكر، سموا أنفسهم زورا وبهتانا بالسلفية ، فلان ابن فلان السلفي ، ومحمد بن محمد الأرذلي ، وزيد بن عمر ما أدري ايش وغير ذلك ، لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ، وبيانات والدعوي مالم تقم عليها بيانات ودعاوي فأصحابها أدعياء ، مخالفة هؤلاء في المنهج سلف فاضح وواضح ، أولا: في المعتقد ، عقيدتهم عقيدة المرجئة ، ثانيا : التشهير بالناس والطعن في أعراض الناس ، استحلال الأعراض شابهوا الخوارج ، الخوارج استحلوا الدماء ، وهؤلاء استحلوا أعراض العلماء، حجبوا وأعرضوا الأحاديث النبي عن أعراضهم .**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" كل مسلم على مسلم حرام دمه، ماله، عرضه ".

وقال أيضا" كفى بالمسلم إثما أن يحقر أخاه المسلم". ، هذه النصوص وضعوها وراء ظهورهم مما أخذوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ".

ترى السلفية التكفيرية، أن السلفية العلمية فيها مخالفات شرعية مثل موضوع التزكية ،يقول الله في كتابه العزيز "يا أيها الذين أمنوا لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى" ، ويرى أن السلفية العلمية لا تملك الدلائل الشرعية على صحة نسبها إلى السلفية الحقة، فهم ليس سلفيين هم أدعياء لها، ويرى أن عقيدتهم عقيدة إرجاء ، هدفهم التشهير بالناس والطعن في أعراضهم .

والسلفية التكفيرية، ترى نفسها أنها هي السلفية الحقة، وتعيب عليها مهاجمتها للعلماء ، ومحاربة الدعاة إلى الله والاهتمام بالمظاهر فقط، وفي هذا السياق يقول المبحوث رقم (**01**):**"هما يقولوا حنا سلفية،أنا سلفي ، أنا سلفي ضد السلفية نتاع المرجئة ، المرجئة يكذبوا،اللي يتجاروا مع الخيان(السراق) نتاع البورتبلات، اللي يبيعوا الكاسيتات نتاع التجريح والتشريح، وتقطع في مدينة الجديدة، اللي حاسبين دير عباءة وقطع في العلماء ، دير اللحية وما فعل ما تشاء ، طرطق الناس وديلهم دراهمهم، وغتب ونهب، هادوا اللي يحاربوا العلماء، ويحاربوا الدعاة إلى الله ، واحد قال لي ما نقاتلوش مع صدام قلت له علاه ؟ قال لي : كافر قلت له أمريكا مسلمين (بصيغة التهكم)** " .

إذن السلفية التكفيرية في عيون السلفية العلمية هم خوارج، والسلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم مرجئة، وكل واحدة منهما ترى نفسها هي من تتبع السلف الصالح وتنفي عن الأخرى سلفيتها .

و هكذا فكرة "السلفية"بعدما كانت في بداية التسعينات فرقة متينة، موحدة غير قابلة للنقاش، وكان ينظر إليها كأنها " دين " وليس " فرقة دينية " الآن ، أصبحت تنتقد حتى من ادعياها ، وهذا لأن السلفية ليس مرتبط بتدين وإنما مرتبطة بزمان ، أي نحن سلفية سواء رضين أم لم نرضى ، أي نحن الآن خلف لسلف ، وسنصبح سلف لخلف بحكم الزمان ، وليس بحكم الأعمال ، وبالتالي الدلالة " السلفية " مرتبط بالزمان وليس بالأفعال وبالتالي عندما ارتبط التدين بالزمان ليس بالأعمال .

الخاتمة:

من خلال ما سبق نرى أن منهج السلفي لا ينظر إلى مسألة الإخوان المسلمين بعين واحدة، بل بعيون مختلفة ومتناقضة تناقض صريح، والسؤال المطروح: إذا كانت السلفية العلمية أسست نظرتها إلى مسالة الإخوان المسلمين على أساس الكتاب والسنة والسلفية التكفيرية أسست نظرتها على أساس الكتاب والسنة ، وبالتالي يتضح جليا أن كلا سلفيتين (العلمية والتكفيرية) نظرة إلى منهج الإخوان المسلمين من زوايتهم الفكرية والتفسيرية على أساس ايديولوجي .

و السلفية العلمية ترىأن السلفية التكفيرية مرجعيتها الأساسية ليست الكتاب والسنة بل هي لا تمت بالكتاب والسنة بشيء بل هي فرقة قديمة ظهرت في التاريخ وهي فرقة " الخوارج" ، أما السلفية التكفيرية فهي تنظر إلى السلفية العلمية على أنها فرقة قديمة ظهرت في التاريخ وهي فرقة " المرجئة "

وهكذا أصبح الفكر السلفي – وهنا أقصد الفرق وليس المصدر "الكتاب والسنة" – يعاني تفكك إيديولوجي رهيب ناتج على حسب اعتقادي بسبب فشل المثقفين والمفكرين في خلق بينة متينة بين الثنائيات المختلفة " الدولة/ المجتمع، " الحاكمية والسلطة " ، " النخبة بين المثقف العضوي والمثقف التقليدي .

االمراجع المعتمد عليها :

1– الخطيب (معتز) ،سيد قطب والتكفير أزمة أفكار .. أم مشكلة أفكار؟ مكتبة مدبولي ،القاهرة،مصر2009،ص.108

2– السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره – أسباب انتشاره – علاجه ، دار المنهاج ، 2005 .

3– النجمي(أحمد بن يحي) ، المورد العذب الزلال ، مكتبة الأصالة ، المملكة العربية السعودية 2003 .

4- النجمي (أحمد بن يحي) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة – مصر ، 2004

5- باز مول بن سالم (محمد بن عمر)، المد ارج في كشف شبهات الخوارج، دار الاعتصام، بدون سنة .

6- بن عثمان المصري (محمد) التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات، هي منهج الخوارج والبغاة وليس من منهاج السلفي الصالح، مكتبة المحجة البيضاء جمهورية مصر العربية ، 2005.

7- السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره – أسباب انتشاره – علاجه ، دار المنهاج ، 2005 فكر الإرهاب والعنف .

المقالات:

1-أبو اللوز (عبد الحكيم)،تصلب الأديولوجيا السلفية الجديدة،إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع،العددان الثالث والرابع –صيف وخريف 2008 .

2- مولاي(الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر " مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون 22-23-23-، 1999.

الهوامش:

1. مولاي(الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر" مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون22-23-23- نوقمبر 1999. ص 27 .
2. مولاي(الحاج مراد)، وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر" مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص27 ، نفس المرجع السابق.
3. مولاي(الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر " مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون 22-23-23-ص27 نفس المرجع السابق .
4. ا(صالح بن عبد الله أل فوزان)، لأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، الفوزان ، دار المنهاج، القاهرة 2003. ، ص42
5. (صالح بن عبد الله أل فوزان)، الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، ، مرجع سبق ذكره ، ص 35،56
6. النجمي(أحمد بن يحي) ، المورد العذب الزلال ، مكتبة الأصالة ، المملكة العربية السعودية ، 2003 ، ص138
7. النجمي (أحمد بن يحي) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة – مصر ، 2004- ، ص37
8. النجمي (أحمد بن يحي) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة – مصر ، 2004-، ص39
9. أبو اللوز (عبد الحكيم)،تصلب الأديولوجيا السلفية الجديدة، ،إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع،العددان الثالث والرابع –صيف وخريف 2008 ،ص101.
10. الخطيب (معتز) ، سيد قطب والتكفير أزمة أفكار .. أم مشكلة أفكار ؟ مكتبة مدبولي ،القاهرة ، مصر 2009، ص108.
11. باز مول بن سالم (محمد بن عمر)، المد ارج في كشف شبهات الخوارج، دار الاعتصام، بدون سنة ، ص 16
12. بن عثمان المصري (محمد) التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات، هي منهج الخوارج والبغاة وليس من منهاج السلفي الصالح، مكتبة المحجة البيضاء جمهورية مصر العربية ، 2005 ، ص 54.
13. السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره – أسباب انتشاره – علاجه ، دار المنهاج ، 2005 فكر الإرهاب والعنف ، ص 176 .